١١- المناهج

... وجاء التشكيل الوزاري الجديد في الشهر الثالث من عام ١٤١٦هـ وتشرف معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد بحقيبة وزارة المعارف، وعملتُ معه قرابة ثلاث سنوات ورأيت كيف تبارى بعض الكتاب يدعونه لتطوير المناهج، وينـدبونه لإنقاذ المناهج، وكأن المناهج في الحضيض - سامحهم الله- وحسبوا أن المناهج هي العصا السحرية لمشاكل التعليم وهموم المجتمع، وغاب عن هؤلاء أهم العناصر التعليمية وهم المعلمون، ثم التجهيزات المدرسية، من مبانٍ ووسائل تعليمية، وأمور

أخرى (مختبرات، مكتبات، معامل لغات، معامل حاسب) فضلاً عن كثافة الطلاب في الفصول التي صارت تتزايد سنة بعد أخرى وغير ذلك من أمور تربوية يحتاج لها الميدان ثم المجتمع والبيئة الأُسَرِّية وأثرها في الاسترخاء وعدم الجدّية.

إن هؤلاء المتحدثين لا يعلمون أن في وزارة المعارف أكثر من ستمائة كتاب من المقررات الدراسية؛ فهناك المرحلة الابتدائية والمتوسطة، ثم المرحلة الثانوية بأقسامها المتنوعة، ومعاهد التعليم الخاص، وكليات المعلمين، وكل مرحلة مُجزَّأة إلى عدة سنوات دراسية، وفي كل سنة

دراسية مجموعة مواد مختلفة، ولكل مادة موضوعات متعددة.

إن الكتب المدرسية بحر واسع، والمشكلة أن الحديث عن هذه المسألة موضوع يستسهله النقاد، وأمر يلجه المنظِّرون، ورحم الله فقهاء المسلمين حين قالوا: «الحكم على الشيء فرع من تصوره».

وكان الله في عون المسؤولين عن التعليم، فكم يلومهم من لائم، وهو لا يعرف مفردات مناهج اللغة العربية، ولا الرياضيات، ولا العلوم، ولا المواد المتعددة الأخرى، وكم ينتقدهم من منتقد وهو لا يعلم التطوير المتتابع للكتب

المدرسية وليس هو بالمتخصص، مع أن هذا اللائم يؤكد على التخصص وأنه سمة العصر.

وصرتُ أُشفق على المسؤولين عن التعليم وأرثي لحالهم وأدعو لهم، فقد بات البعض يسائل معالي الوزير د. محمد الرشيد بعد سنوات وجيزة من توليه وزارة المعارف، ويلومه ويقول: أين التطوير؟ وأين التجديد؟ وكأن الكتب المدرسية؛ بُرج الفيصلية، أو بُرج المملكة اللذان شُيِّدا في فترة وجيزة، ويزدان بهما طريق الملك فهد بمدينة الرياض، ويراهما الغادي والرائح، وما عرف هؤلاء أن المناهج والكتب فكر وعلم، وأن سمة هذا المجال التأمل

والتروي، وأن نتائجه لاتظهر إلا بعد سنوات وأن هؤلاء المتحدثون هم ثمار المناهج، وهم نتائج التربية، فأين تعلموا وأين درسوا؟

ولقد بت أخشى على المناهج والكتب المدرسية من الانحراف لكثرة النقد، وتتابع اللوم مع أنها تحظى بالمتابعة والتطوير.

إن وزارة المعارف بذلت وتبذل الجهود الكبرى لتطوير المقررات المدرسية، وتوفير الكفاءات البشرية المؤهلة لخدمة تلك الكتب وإن الحديث عن المناهج وقصة مسيرتها التاريخية يحتاج إلى بحث مستقل ولكن

سأتناول بإيجاز بعض الأمور التي عاصرتها.

إن في الوزارة وكالة للتطوير التربوي، وفي هذه الوكالة مجموعة من خيرة الشباب السعودي في مختلف التخصصات، وأحسب أنه مهما جاء للوزارة من وزير، ومهما تعاقب عليها من مسؤول، فلن يستطيع أن يوفر في هذه الوكالة أفضل من رجالها؛ فأغلبهم من حملة درجة الدكتوراه والماجستير، وجاؤوا من الميدان، ومروا بالتعليم، ومارسوا التوجيه التربوي، ودرسوا في أرقى الجامعات الأمريكية والبريطانية، فضلاً عن الجامعات السعودية وكان الأساس في اختيارهم الكفاءة والتفوق.

إن أولئك الرجال جديرون بالإشادة وحريُّون بالإطراء، وهم أهل للثناء، إن عملهم فكري، وأداءهم ذهني وكما قال الشاعر:

أُولئك آبائي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جرير المجامع

لقد عرفت أولئك الشباب، وتعاملت معهم وأكبرت همتهم، ولكن قَدرُهم أنهم في عمل لا ترى نتائجه إلا بعد سنوات، بارك الله فيهم ونفع بهم.

ومع حماسة أولئك الرجال، واهتمام تلك الكوكبة، فإنه يُساندهم فرسان من الميدان، بينهم

المعلم والموجه، بالإضافة لأساتذة الجامعات وذوي الخبرة والكفاءة أينما كانوا.

لقد اقترحت الوزارة بعد دراسة متأنية نظام الأسر الوطنية لمختلف المواد؛ حيث طلبت من المقام السامي الموافقة على نظام الأسر الوطنية وتخصيص مكافأة مجزية لأعضاء الأسر الوطنية المشكلة بالوزارة مقدارها ألف ريال عن كل جلسة لكل عضو، وبحد أقصى مقداره خمسة عشر ألف ريال في السنة، وصدر قرار مجلس الخدمة المدنية رقم ٦٧٩٣ في ١١/ ٥/ ١٤٠٧هـ بالموافقة على طلب الوزارة وبلغ عدد الأسر: أربع عشرة أسرة هي:

١- الأسرة الوطنية للرياضيات.

٢- الأسرة الوطنية للعلوم.

٣- الأسرة الوطنية للعلوم الاجتماعية.

٤- الأسرة الوطنية للغة العربية.

٥- الأسرة الوطنية لتعليم الكبار.

٦- الأسرة الوطنية للعلوم التطبيقية.

٧- الأسرة الوطنية للغة الإنجليزية.

٨- الأسرة الوطنية لوسائل وتقنيات التعليم.

٩- الأسرة الوطنية للعلوم الطبيعية التطبيقية.

١٠- الأسرة الوطنية للعلوم الدينية والتربية الإسلامية.

١١- الأسرة الوطنية للقياس والتقويم التربوي.

obeikandl.com

١٢- الأسرة الوطنية لبرامج التعليم الخاص.

١٣- الأسرة الوطنية لتوجيه الطلاب وإرشادهم.

١٤- الأسرة الوطنية لإعداد المعلمين.

وصارت هذه الأُسر تجتمع باستمرار، وتتولى مسؤولية المواد الدراسية فأسرة الرياضيات مسؤولة عن كتب الرياضيات وأسرة اللغة العربية مسؤولة عن كتب اللغة العربية وهكذا المواد الأخرى.

ولقد وفر هذا النظام للوزارة المجال للاستعانة بالكفاءات العلمية، وصرف المكافآت المجزية لمن يستعان بهم، كما صدرت كذلك

obeikandl.com

لائحة تأليف الكتب المدرسية التي تقضي بأن يُصرف عشرون ألف ريال لكل كتاب يتم تأليفه فضلا عن المكافآت الأخرى للمراجعين والمقوّمين.

وتأخذ الوزارة أحيانًا بمجال آخر في التأليف حيث تتفق مع إحدى المؤسسات التعليمية للتأليف كما عَملتْ مع الجامعة الأمريكية في بيروت لتأليف كتب العلوم والرياضيات للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة حينما كُنت موظفًا في إدارة المناهج عام ١٣٩٥هـ، كماعهدت الوزارة إلى شركة إنجليزية بتأليف كتب اللغة الإنجليزية ثم كلفت مؤخرًا جامعة

الملك فهد بإعادة تأليف كتب اللغة الإنجليزية من جديد.

ولجأت الوزارة في بعض المحاولات التطويرية إلى تأليف أكثر من كتاب؛ لتختار من بينها ما يقرر الميدان أفضليته بعد التجربة فكلفت كُلاً من كلية التربية بجامعة الملك سعود وكلية التربية بالمدينة المنورة بتأليف كتاب القراءة للصف الأول الابتدائي وطبقت هذين الكتابين في الميدان.

وبعد التجربة عممت الوزارة كتاب كلية التربية بالمدينة المنورة الذي ألفه د. إسماعيل ظافر وزملاؤه، واستمرت المدارس في تطبيق

هذا الكتاب لعدة سنوات، ثم قامت الوزارة بتكليف مجموعة من المعلمين والموجهين بتأليف كتاب القراءة المذكور مرة أخرى، وجربته في عدد من المدارس وقبل أن أترك الوزارة عام ١٤١٩هـ بسنة واحدة عممت هذا الكتاب بدلاً من كتاب إسماعيل ظافر وزملائه.

هذه بعض الجوانب التربوية التي يجري العمل بها في وكالة التطوير التربوي بوزارة المعارف، ويتضح من ذلك أن الوزارة هيأت مختلف الوسائل الكفيلة بالتطوير وسلكت شتى الطرق للتأليف.

ومع ذلك كله فإن بعض الكتب يلزم

تعديلها وإعادة كتابة موضوعاتها من جديد.

وإني بقدر ما أُكبر وأُشيد بالعاملين في وكالة التطوير التربوي، وبالمتفاعلين مع المناهج في الميدان التربوي من معلمين وموجهين، فإني أعتب على أولئك المتجنين على رجال التعليم وألوم أولئك الذين يقولون ويهذون بما لا يعلمون، ويوردون موضوعات جرى حذفها ومفردات تم تعديلها، ولا يكلفون أنفسهم بالمراجعة لآخر طبعة من طبعات الكتب المدرسية، فمثلاً، كثيراً ما نسمع نقداً ولوماً عن تفصيلات زكاة الماشية وأنها موجودة في كتب المرحلة الابتدائية وهي من الموضوعات التي

جرى حذفها وكان البعض لا يزال يعتقد بوجودها.

وفريق آخر يذكر موضوعات في الجغرافيا تم حذفها، مع أن هذه الموضوعات جُزئية وليست هي مشكلة التعليم هداهم الله.

ولا أقصد بحديثي هذا أن تقف عجلة التطوير، وأن نزعم الكمال بل لابد من المراجعة الدائمة، والاطلاع على التجارب، وإعادة الكتابة والإخراج مرة وأخرى، كما يلزم مجاراة العصر وتزويد الطلاب بالمعارف الجديدة والمهارات الحديثة، ولا غَرْو فجميع الأمم تراجع مناهجها وتعدل برامجها بين الحين والآخر.